

شرح فقرات دعاء الافتتاح



شرح فقرات دعاء الافتتاح

(مَرَّيْخُ الْمُسْتَمَرِّخِينَ، مَوْضِعُ حَاجَاتِ الطَّالِبِينَ، مُعْتَمَدُ الْمُؤْمِنِينَ)

فإنَّ جلَّ جلاله يسمع اصوات المستغيثين من عباده ومن وضع ثقته به وتوكل عليه فلا يتركهم من دون ان يغيثهم وهو القائل: (لايس انا بكاف عبده)، كما يسمع اصوات عباده الداعين والطالبين كما في قوله: [قَدْ سَمِعَ انا قَوْلَ السَّائِي تَجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي اِلَيَّ وَانا

يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمْ مَا إِنَّ سَمِيعٌ بِصِيرٍ،

فإن سبحانه لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء، وما من شيء يحدث في الكون الا بعلمه ولا يخرج عن سننه واراادته كما اوضح بقوله: [لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أََوْ تَخْفَوْهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ] فَإِذَا غَفِرَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَالْإِنِّ عَالِمٌ كُلِّ

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مِنْ خَشْيَتِهِ تَرْعَدُ السَّمَاءُ وَتَسْكَنُ الْأَرْضُ، وَتَرْجُفُ الْأَرْضُ وَعُمُومُ أَرْضِهَا، وَتَمْوُجُ الْبَحَارُ وَمَنْ يَسْبَحُ فِي غَمَرَاتِهَا).

فمن يعرف قدرة الله جل جلاله وقوته من خلقه فانه يخشع لعظمته سواء كان في السماء او في الارض، في البر او البحر، ولكن البعض للأسف لا يستيقن بذلك الا عند حضور اجله كما في قول فرعون عندما ادركه الغرق فيما ذكره الله في كتابه: [وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْيَمِينَ فَأَتَيْنَهُمُ فِي رِجْلِهِمْ الْوَادِيَّ وَالْعَادُوُّ حَدَّثَلَى إِذْ أَدْرَاكَهُ الْغَوْرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَزْنَاهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَدِيلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ، فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً، وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ]

وهو ما نبه اليه سبحانه بقوله: [قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ، أَلَمْ تَكُنْ مِنْكُمْ آمِنَةً بِنَجْوَى اللَّهِ وَوَعْدِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ، ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ].

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا، وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ).

وهو تعبير عن الشكر الذي ينبغي ان يملأ قلب المؤمن وعقله في جميع اوقاته واحواله، فلولا ما افاض الله عليه من سبل الهداية لما وصل الى معرفة فضل الله وعظيم احسانه، ليحمده ويشكره فيجزيه المزيد من فضله: [لِيَجْزِيََهُمْ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ]، [وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مِّمَّنْ رَّزَّاهُ].

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يَخْلُقُ وَلَمْ يَخْلُقْ)

فهو الأول قبل الخلق والآخر بعد فناء الخلق، وهو الدائم الباقي الذي لا فناء له ولا زوال، وهو الحي القيوم الذي ليس كمثله شيء

فكلما ازداد علم الانسان بربه وطاعته له كلما صلت حياته وازداد توفيقا في القربى اليه ليفوز بجنته ويأمن من عذابه [فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ فَنَسَوْا خِلْفَهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْ رَبِّهِمْ وَفَضْلٍ وَبِهِدْ يَكُونُونَ] لِيَهْدِيَهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا]

(وَيَرْزُقُ وَلَا يَرْزَقُ، وَيُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ، وَيُحْيِي الْمَوْتَى،

وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَي كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)،

فالرزق والحياة والموت وكل الأحوال التي تعرض على الإنسان إنما هي لا تخرج عن ارادته ولا عن قضائه وقدره لأنه هو الخالق والرازق والمدبّر والمحيي والمميت، ولذا ينبغي على اهل الايمان التوجه له وطلب العون منه والسؤال له دون سواه فهو العلي القدير.

(اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، وَأَمِينِكَ وَمَصْفِيهِكَ، وَخَدِيدِكَ وَخَيْرَتِكَ مِنْ خَلْقِكَ، وَخَافِظِ سِرِّكَ، {والمراد بسرّ} هو العلوم التي فتحها [] على أنبيائه ورسله كلٌّ بحسب درجته ودوره الربّاني المرسوم له في الدنيا)، وَمُجِلِّ رِسَالَتِكَ).

منزلة رسول (ص) في حقيقتها تفوق جميع الانبياء والمرسلين فهو يعتبر نموذج للكمال الرباني في خلق الانسان

فكما هو معلوم ان [] سبحانه خلق خلقا مطيعا له لا يعصونه في شيء وهم الملائكة كما في قوله تعالى: [لَا يَعْصُونَكَ إِلَّا مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ]،

وجعل لهم مهام متنوعة في الدنيا والاخرة كما اوضح ذلك في كتابه في آيات عدة منها:

[] يُصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّكَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ،

[الَّذِينَ تَتَذَوِّفُونَ فَنَاهُمْ أَلَمْ تَلْزِمَهُمْ طَائِلَتِي أَنْفُسِهِمْ فَالتَّالِقُونَ]

لَسَّ لَمَمَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ مِنْ سُوءٍ بِئْسَ إِنْ أَنْتُمْ بِمَعَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ]

[وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَذَوِّفُ الْذَّيْنِ كَفَرُوا أَلَمْ تَلْزِمَهُمْ بِئْسَ رِئُوسٌ وُجُوهُهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوْقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ]

[الَّذِينَ تَتَذَوِّفُونَ أَلَمْ تَلْزِمَهُمْ طَائِلَتِي يَفْعُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ]، وكثير من الآيات التي تتحدث عنهم ومنها قوله تعالى عن ليلة القدر: [تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ].

الا ان الملائكة رغم منزلتهم في طاعة الله وعدم معصيته فانهم لا يتكاملون بل يبقون على ذات المستوى من العبادة او الطاعة.

كما ان الله سبحانه قد خلق خلقا وهم الجن خلقهم من نار وتحدث عنهم في كتابه في آيات مختلفة كقوله تعالى: [وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَّارِ السَّمُومِ]، وتحدث عنهم في سورة الجن:

[وَأَنْزَلْنَا مِنَ الصَّالِحِينَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ كُنَّ طَرَائِقَ قُرْدًا]

[وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنْهُمْ الْقَاسِطُونَ وَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا وَرَشَدُوا]،

كما اوضح سبحانه كثير من الحقائق التي تتعلق بإبليس باعتباره من الجن وعن عداوته لادم

كقوله تعالى: [وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا].

*أما المخلوق الذي كرمه ﷻ سبحانه فهو الانسان كما في قوله تعالى: [وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَا نِهَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا].

وهو الذي طلب من الملائكة السجود له كما اخبر في كتابه: [وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ].

ثم بين سبحانه علة ذلك بقوله: [قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّ أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ، قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ].

فمن خصائص الانسان هو ما اودعه ﷻ فيه من العقل الذي يرتقي ويتكامل به عند طاعته حتى يكون ارقى من الملائكة، وما اودعه فيه من الشهوات التي يتسافل فيها عند معصيته حتى يكون ادنى من الشياطين

ومن هنا كانت منزلة النبي (ص) حيث بلغ اعلى الرتب والدرجات في طاعة ﷻ والامثال لأمره والمسابقة الى طاعته حتى فاقت درجته جميع من خلق ﷻ من الاولين والآخرين.

(أَفْضَلَ وَأَحْسَنَ، وَأَجْمَلَ وَأَكْمَلَ وَأَزْكَى وَأَنْمَى، وَأَطْيَبَ وَأَطْهَرَ، وَأَسْنَى وَأَكْثَرَ مَا صَلَّيْتَ وَبَارَكْتَ وَتَرَحَّصْتَ وَتَحَنَّنْتَ، وَسَلَّيْتَ عَلَيَّ أَحَدٍ مِنْ عِبَادِكَ، وَأَنْبِيَاءِكَ وَرُسُلِكَ وَمَصْفُوكِكَ، وَأَهْلِ الْكَرَامَةِ عَلَيْكَ مِنْ خَلْقِكَ)

فلولا الهداية التي ارسلها ﷻ عبر رسوله، ولولا التضحيات والتفاني في طاعة الذي قام به رسول الله(ص)، لكانت البشرية اليوم تعيش حالة الجهل والخرافة والهمجية والبربرية التي يأكل فيها القوي الضعيف، وما الحروب العالمية الحديثة وما تبعها بعد ذلك من تطويع لوسائل القتل والدمار الا نموذجا للانحراف الذي يسلكه الانسان من دون هداية ﷻ ورحمته بخلقه،

ولذا قد ذكر ﷻ نبيه في آيات عدة اوضحت منزلته ومكانته كقوله تعالى:

[إِنَّ ﷻ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا].

[وَإِنَّ ﷻ لَآ جُرَّاءَ غَيْرَ مَمْنُونٍ، وَإِنَّ ﷻ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ].

[إِنَّ ﷻ الَّذِينَ يُؤْذُونَ ﷻ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ ﷻ]

ففي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا].

[لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ {أي منكم} عَزِيزٌ عَلَايَهُ مَا عَنِتُّمْ {أي معاناتكم} حَرِيصٌ عَلَايَكُمْ بِالْأَمْرِ وَمُنِيرٌ رَّءُوفٌ رَّحِيمٌ]، بمعنى ان هذا الرسول هو من عموم الناس لا هو ملك عليكم ولا يريد ان يترأس عليكم ولا هو من قوم غيركم ولا ناطق بلسان اعجمي، عزيز عليه اي شديد عليه معاناتكم ومشقتكم ولقاءكم المكروه حريص عليكم أن تهتدوا بالمؤمنين رءوف شديد الرحمة، رحيم يريد لهم الخير في الدنيا والاخرة.

[وَكَذَٰلِكَ ﷻ أَوْحَىٰ إِلَىٰكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا

وَإِنْ نَزَّلْنَا لَتَتَّبِعُنَا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي
السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ

الْأُمُورُ].

[وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ].

[هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَنِ الدِّينِ
كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ].

والآيات كثيرة التي تتحدث عن رسول الله ومنزلته عند الله ولذا جعل طاعته والالتزام بأقواله وأعماله
بمثابة الطاعة لله سبحانه كما في الآيات التالية:

[وَمَنْ يَتَّبِعْ أَهْلَ وَرَسُولِهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ].

[تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ].

[وَمَنْ يَعَصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ
عَذَابٌ مُهِينٌ].

[ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا {أَي خالفوا} اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
فَأِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ].

[أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُخَادِدِ {أَي يخالف ويعاند} اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ
جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ].

فهذا الربط بين اﷻ ورسوله اذ ان مخالفة النبي وعصيانه تعد مخالفة ﷻ تعالى، وطاعته تعتبر طاعة ﷻ تعالى انما هو بيان لمنزلة رسول اﷻ الذي انزل عليه اكمل الرسالات وجعله خاتما للرسل قبل قيام الساعة ولذا تضمن الدعاء وصفه بأكمل واجمل ما يستحقه هذا الرسول العظيم والذي قال اﷻ عنه [وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ].